

فريق التفريغ لموقع الآجري

السلسلة الثانية

(٠٥)

سلسلة

قواعد الإملاء

لفضيلة الشيخ

محمد سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

النسخة الإلكترونية الأولى

www.ajurry.com

[الدرس الخامس]

أعد هذه المادة

سالم بن محمد الجزائري

عناصر المحاضرة :

- ما يوصل وما يفصل.
- تاء التأنيث وهائه.
- الألف المبدلة من ياء المتكلم.
- الألف المبدلة من نون إذن الجوابية.
- التنوين في الاسم المفرد المنصوب.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، من يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أما بعد،

فإن الألف من حيث هي على ضربين هما:

- الألف اليابسة.
- والألف اللينة.

فالألف اليابسة هي التي تقبل الحركات، ولا تسمى ألفا إذا كنت مصورة بالواو أو الياء أو لم يكن لها صورة بأن كانت محذوفة، وإنما تسمى بالألف إذا كانت مرسومة بصورتها الأصلية المذكورة أولَ تعداد الحروف الهجائية التي أولها الألف وآخرها الياء. فهذه هي الألف اليابسة. وأما الثانية فهي الألف اللينة التي عدوها قبيل الياء التي ضمن (لا) المركبة من حرفين، ولهذا لا يمكن وجودها أول الكلمة لتعذر الابتداء بها.

وأما الألف التي تحتلب للابتداء بالساكن وهي همزة وصل لا ألفا لينة، وغاية الأمر تسقط في الدَّرَج -درج الكلام-.

فالألف اليابسة والألف اللينة وهمزة وصل وهي الألف التي تحتلب للابتداء بالساكن، وقد مر ما يتعلّق بألف اليابسة، وما يتعلّق بهمزة وصل أو الألف التي هي للوصل والتي تحتلب للابتداء بالساكن. واليوم -إن شاء الله تبارك وتعالى- ننظر في أحكام الألف اللينة:

والألف اللينة هي الساكنة المفتوح ما قبلها، مثل: (قام -قناة) ومثل: ألف (كتاب -عصا -عاد -

يخشى -إلى)، وهي -هذه الألف اللينة وهي الساكنة المفتوح ما قبلها- هي التي تقابل الألف اليابسة كما ذكر ذلك.

فالألف اللينة هي الساكنة المفتوح ما قبلها ولا تقبل الحركات، ولا تأتي في أول الكلمة؛ لأنها لا تكون إلا ساكنة، والعرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك.

إذن يفهم من التعريف (الساكنة المفتوح ما قبلها) يفهم من ذلك أنها لا تكون في أول الكلمة وإنما تكون في الوسط وفي الآخر، وتكون في الاسم وفي الفعل وفي الحرف، فهي متوسطة ومتطرفة؛ ولكن لا تكون في أول الكلمة بحال، والعلة أنها لا تكون إلا ساكنة، والعرب لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك.

الألف المتوسطة تقع في وسط الكلمة وإذا وقعت في وسط الكلمة فإنها ترسم ألفاً مطلقاً، سواء أكانت واوية أم يائية، مثل: (قام-سار-رعاة-قناة) سواء أكان الوسط أصالة أم كان عارضا: فالمتوسطة أصلا هي التي يكون بعدها حرف أو أكثر من الحروف الأصلية في الكلمة التي ذكرت الألف فيها، مثل: (قال-شارع).

وأما المتوسطة توسطا عارضا فهي الألف التي كانت آخر الكلمة ثم لحق بآخر الكلمة شيء آخر مثل: تاء التانيث، أو الضمير أو (ما) الاستفهامية، فبعد أن كانت كذلك صارت وسطا، ولها حكم المتوسط.

سواء كان الوسط أصالة أم كان عارضا فإن الألف اللينة إذا وقعت وسطا ترسم ألفاً مطلقاً، سواء أكانت واوية أم يائية (إلام-علام-حاتم-بمقتضام فعلت كذا؟)، وتقول: (يخشاك-حتاك-إحداهما-بشراها)، ف(يخشى) لما اتصل بها الضمير صارت الألف لا متطرفة وصارت وسطية متوسطة (يخشى-يخشاك)، (حتى-حتاك)، (إحدى-إحداهما)، (بُشري-بُشراها) فهذا توسط عارض؛ لأنها لم تكن كذلك في الأصل إنما لحق بها ما جعلها غير متطرفة، فتقول: (إلام-علام-حاتم-بمقتضام فعلت كذا؟)، إلا إذا اتصل بها الكلمات الأربع (إلام-علام-حاتم-بمقتضام) هاء السكت، فإذا اتصلت بهذه الكلمات الأربع هاء السكت، فإنها تكتب ياء؛ لأن (ما) الاستفهامية إذا اتصلت بها هاء السكت صارت كلمة قائمة بذاتها كما تقول: (إلى مه-على مه-حتى مه-بمقتضى مه)، يقال: (بمقتضام فعلت كذا؟) ويقال: (بمقتضى مه فعلت كذا؟) هذه الهاء يقال لها: هاء السكت، فإذا اتصلت بهذه الكلمات الأربع هاء السكت صارت كلمة قائمة بذاتها فتقول: (إلى مه) أما من غير هاء السكت فتقول: (إلام-علام) ومع هاء السكت تقول: (إلى مه-على مه) فتكون كلمة قائمة بذاتها، وتقول: (حاتم) بالاتصال، وأما إذا جاءت هاء السكت فتقول: (حتى) هذه

كلمة (مه) هذه كلمة، (بمقتضام) ليس هاهنا هاء سكت فإذا جاءت هاء السكت فتقول: (بمقتضى مه فعلت كذا؟).

ونحو (إلى ماذا- على ماذا- حتى ماذا- بمقتضى ماذا)
المتطرفة:

في الحروف تُرسم - في جميع الحروف - ألفا، مثل: (لولا-إلا-أما-لما- (لا) النافية-(لا) الناهية-ذا-خلا-عدا-حاشا) على أنها حروف جرٍّ في الاستثناء، إلا هذه الأربعة فإنها تُرسم ياءً وجوبا، وهذه الأربعة الحروف هي: (إلى-على-حتى-بلى) لأنها تنقلب ياءً مع الضمير، مثل: (إليه-عليه)، وكذلك الإمالة في: (بلى-أما) حتى فبالحمل على (إلى) لأنه بمعناها ذكر ذلك في الشافي كتعليل؛ لأنها ترسم ياءً وجوبا. هذا في الحروف.

في الأسماء ترسم الألف المتطرفة في الأسماء على هذا النحو:

في الأسماء العجمية ترسم الألف سواء كانت ثلاثية أو غير ثلاثية مثل: (طغا-يهوذا-زليخا-دارا-بغا) هما اسما شخصين، (يافا-أريحا-شبرا) التي يُقال لها: (شبرا)، و(بنها) بكسر الباء التي يقال لها: (بنها) هذه أسماء مدن، وهي ترسم ألفا لشبهها بالحروف في عدم الاشتقاق والتصريف. ودخل في ذلك أيضا (منا)، إلا الخمسة الآتية فإنها ترسم ياءً، وهذه الأسماء الخمسة هي: (موسى-عيسى-كسرى-بخارى-متى)؛ لأن العرب عرّبت هذه الأسماء.

وأما الأسماء التي ليست بأعجمية وهي العربية فهي إما معربة وإما مبنية:

✳ فالأسماء المبنية ترسم كلها بألف وجوبا، فكل اسم مبني ترسم فيه ألفا، ما عدا الأسماء المبنية الخمسة المذكورة فإنها ترسم بالياء مثل: (ذا) الإشارية و(ما) الموصولة التي بمعنى (الذي) و(أنا) الظرفية ما عدا هذه الأسماء فإنها تكتب بالياء وجوبا، كما تقول: (متى-لدى-الألى)، و(الألى) اسم موصول بمعنى (الذين)، و(أولى)، (هؤلاء) اسم إشارة للجمع.

✳ الأسماء المعربة إما أن تكون ألفها ثلاثة أو رابعة فأكثر:

★ فالثلاثة ترسم ألفا إن كانت متقلبة عن واو نحو: (العصا-القفا-الذرا-العلا-العرا-

الخطا-الدجا-الحجا) عند البصريين.

وقال الكوفيون: كل اسم ثلاثي ضمّ أوله أو كسر جازت كتابته بالياء مثل: (العلی-الذری-

الخطی-الضحی) وللمشكلة الخطية كتبوا (سجی) ك: (الضحی) إذا رأيت ذلك فلا تعدّه خطأ،

يعني إذا رأيت (الذرا) بالألف ورأيت آخر قد يكتبها بالياء (الذرى)، وكذلك (العري-والعلا-
الدُّجا -الحِجَا) فلا تحطّئ ذلك، فلربما كان يكتب على طريقة الكوفيين فيكتبها بالياء أو يكتبها على
طريقة البصريين فيكتبها بالألف.

وسياأتي كيف نعرف هل هي منقلبة عن واو أو عن ياء إن شاء الله -تعالى-.
وإن كانت منقلبة عن ياء رسمت ياءً، مثل: (الفتى-الوئى-الوغى).

★ وأما الرابعة فأكثر فهي إما مسبوقة بياء أو غير مسبوقة:

● فغير مسبوقة بياء ترسم ياءً مثل: (صغرى-كبرى-سلمى-رضوى-مصطفى-تطرى-
مغرى-ملهى) وذلك للتنبيه على قلبها ياءً في التثنية، وإن كان البعض يحذف ألفها في التثنية مثل:
(القهقرى-الخوزلى) وهي مشية فيها ثققل وتبخر فيقال: (هو أو هي تمشي الخوزلى). فيقال في
التثنية لـ: (القهقرى-الخوزلى): (القهقران-الخوزلان) وهما نوعان من المشي.
● أما المسبوقة بياء أما أن تكون لكلمة علما أو غير علم.

◆ فغير العلم يرسم ألفا مثل: (زوايا-هدايا-مرايا-مزايا-دنيا) وقال امرؤ القيس:

هصرتُ بفودي رأسها فتمايلت علي هضيم الكشح رِيا المخلخل
(هصرت): أي جذبت، (بفودي): الفودان جانبا الرأس، (فتمايلت علي هضيم الكشح): والهضيم
الضامر النحيل، و(الكشح): الخصر، (ريا): أي ممتلئة وهي مؤنث (ريان)، (ريا المخلخل) أي ممتلئة
موضع الخللخال، يريد ساقها، فيصف خصرها بالضمور وساقها بالامتلاء.
فالشاهد هنا (ريّا) هـذا غير علم فترسم الألف اللينة ها هنا ألفا.

◆ والعلم يرسم بالياء سواء أكان منقولا من فعل مثل: (يحيى)، أم من جمع مثل: (رواي)،
أم من صفة غلبت عليها الاسمية مثل: (ري)، أو غير منقولة مثل: (ثري).

في الأفعال ترسم الألف المتطرفة في الأفعال كآآي:

الفعل إما أن يكون ثلاثيا، وإما أن يكون غير ثلاثي أي يكون زائدا على ثلاثة أحرف.

الفعل الثلاثي كالاسم الثلاثي أي:

إذا كانت ألفه منقلبة عن واو رسمت ألفا، مثل: (سما-صفا-غزلا-عرا-عزا-دعا-علا)

بمعنى ارتفع.

وإذا كانت ألفه مبدلة من ياء رسمت ياء، مثل: (رمى-جرى-هوى-مشى) فهذه تكتب

بالياء.

أما الزائد عن ثلاثة فإما أن تكون ألفه مسبقة بياء أو غير مسبقة بياء:

فغير المسبقة بياء ترسم ياء، مثل: (يخشى-يرضى-يهوى-أعطى-اهتدى-استعلى-استوى) وكذا (صلى-خلى) بتشديد اللام فإنها حينئذ غير مسبقة بياء فترسم ياء، في قولنا: (صلى-خلى) بتشديد اللام الحرف المشدّد بحرفين.

والمسبقة بياء ترسم ألفا مثل: (يحيا-يعيا-استحيا-تزيّا) لأنّ الفعل ثقيل لدلالته على حدث وزمن، والياء ثقيلة فلا يُجمع بين ثقيلين، وحينئذ فإنها تكون مرسومة ألفاً، فالمسبقة بياء ترسم ألفاً. الألف الثالثة المجهولة الأصل ترسم ألفا مثل: (الخصا). بمعنى الفرد من العدد، (الزكا). بمعنى الزوج منه، و(الدداء). بمعنى التعب، فإذا كانت مجهولة الأصل فإنها ترسل ألفاً.

إذا كانت الكلمة واوية يائية فأت بهذه وهذه، مثل: (نمى-عزى-رعى-عدى). بمعنى (جرى) فتكتب بالألف والياء، والأحسن مراعاة اللغتين أيهما أكثر استعمالاً في العصر، مثل: (نمى-فما) فهذه يمكن تكتب بالألف ويمكن أن تكتب بالياء أيضاً، (رعى-رعا) إذا رأيت هذه أو هذه فلا تخطئ.

(كلا) و(كلتا) ترسمان بألف على رأي البصريين.

مهموز الآخر اسماً كان أو فعلاً إذا كان مهموز الآخر ثم سهّلت همزته فإنه يرسم ألفا مثل: (صدأ) تقول: (صدأ) بالألف إذا سهّلت الهمزة فإننا حينئذ نرسم الألف ألفا (صدأ الحديد) أي: (صدؤه)، (قرأ الدرس) إذا سهّلت الهمزة (قرأ) فحينئذ تكتب بألف فتكتب بالألف.

وكذا ما قصر من الممدود فإنه يكتب ألفا (الرضا) من (الرضاء) إذا ما سهّلت الهمزة فحينئذ تكتب الألف ألفا، سواء كان اسماً أو فعلاً، كما تقول: (أضاء) إذا سهّلت الهمزة (أضاء) وتكتب الألف ألفا، وإذا قصر الممدود لضرورة الشعر فإنه يكتب ألفا، كما في قول الشاعر:

لا بد من صنعنا وإن طال السّفر

(صنعنا) وهي (صنعاء) إذا سهّلت الهمزة أو قصر هذا الممدود لضرورة الشعر وإقامة الوزن وحذفت الهمزة فإن الألف حينئذ تكتب ألفاً أيضاً، (لا بد من صنعنا وإن طال السفر) فتكتب بألف أيضاً.

وهي تكتب هكذا في هذه الحالات للدلالة على أن الأصل المد، وللإبقاء على الحالة لتبقى على حالتها وللدلالة على أصلها.

يأتي المقصور في اللغة ممدودا كـ: (القراء) وهو الضيافة، و(القراء) بمعنى الكرم في (القري) وهو ما يقدم للضيف من إكرام، فيأتي المقصور في اللغة ممدودا فـ(القراء) بمعنى الكرم في (القري)، و(الحلواء) في (الحلوى) فيأتي ممدودا (الحلوى) جاءت ممدودة، وكذلك (الزنا) وردت (الزناء) فيكتب جوازا بالألف مقصورا كما يكتب بها ممدودا.

(حاشي) إما أن تكون تزيهية فترسم حينئذ بالياء؛ لأنها فعل مثل: (حاشي لحمد أن يكذب)، وكذا (حاشي) الفعلية في الاستثناء مثل: (جاء الطلبة حاشي بكرًا) فهذه تكتب بالياء لا بالألف كما هو معهود إذا وقعت استثنائية.

أما حاشا الحرفية فإنها تكتب بألف كما مر (حاشا).

قد تُراد الألف للإشباع مثل: (بيننا) في: (بيننا نحن جلوس عند رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-)، فنقول (بيننا) هذه الألف قد زيدت للإشباع.

وكذاك تزداد لبيان الحركة في المبيّنات مثل: (ألا) على المذهب البصري الناظر لأفصح لغاتها.

وتزداد الألف أيضا لإطلاق الصوت في الشعر كقول الشاعر:

تَه دَلالاً فَأَنْتَ أَهْلٌ لِّذَاكَ وَتَحَكُّمٌ فَالْحُسْنُ قَدْ أَعْطَاكَ
فَتَزَادُ الْأَلْفُ هَاهُنَا لِلْإِطْلَاقِ. لِهَذِهِ مِنْ أَجْلِ الْإِطْلَاقِ كَمَا نَقُولُ: لِإِطْلَاقِ الصَّوْتِ فِي الشَّعْرِ.
وكذلك قول صاحب المعلقة:

قَفِي يَا أُخْتَ يَوْشَعَ خَبْرِنَا أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَ
هَذِهِ لِإِطْلَاقِ الصَّوْتِ.

الألف اللينة إذا رسمت ياء لا تنقط، وكذلك كل ياء في آخر الكلمة؛ لأن رسمها يدل عليها دون نقط، فلا نحتاج إلى ذلك، ولكن الألف اللينة إذا رسمت ياء لا يجوز أن نضع نقطتين كما في الياء المعروفة بالياء الشامية، كما تقول: (سعي) هذه التي رسمت لا يوضع تحتها نقطتان، وكذلك ألف (الفتى-الغنى) فتقول: (سعي الفتى إلى) الألف هنا في (إلى) آخر هذا الحرف لا يوضع تحتها نقطتان، فتقول: (سعي الفتى إلى الغنى) من غير نقط.

كيف نعرف الواوي من اليائي؟ يعرف في الاسم بالآتي:

• يعرف الواو من اليائي بالتثنية:

فتقول مثلاً: (عصا-فتى) هل هذه منقولة عن واو أو منقولة عن ياء؟ ثنّ الاسم تعرف، كما تقول: (فتى = فتيان)، وتقول: (عصا = عصوان). الألف في (عصا) منقولة عن واو، وأما

الألف في (فتى) فمنقلبة عن ياء، فإذا ثبتت عرفت، وكما في (قفا) فعند التثنية (قفوان) فهذه الألف منقلبة عن واو.

وبالجمع أيضا بألف والتاء، فتقول مثلاً: (فتاة-مهاة) و(المهاة) البقرة والوحشية، وكذلك في (حصى) منقلة عن واو أو عن ياء، لو أنك جمعت بألف والتاء عرفت، فتقول: (مهاة = مهوات) فإذاً هي منقلبة عن واو، وتقول: (فتاة = فتيات) فهي منقلبة عن ياء، وتقول: (حصى = حصيات) فهي منقلبة عن ياء.

ويمكن أن نعرف في الاسم بصفة المؤنث كما تقول: (ألمى) وتقول: (أعشى) فإذا وصفت المؤنث قلت: (المياء) وهي مؤنث (ألمى) هو سواد خفيف يكون في الشفة، (رجل ألى) فأصلها ياء، وكذلك (أعشى) إذا وصفنا المؤنث قلنا (عشواء) فأصلها واو.

وكذلك يمكن أن نعرف الواو من اليائي برد الجمع إلى المفرد، فإذا رددنا الجمع إلى المفرد عرفنا، كما في (ذرا-رُبي) إذا لم نعرف هذه الألف في الكلمتين أمقلبة هي عن واو أو عن ياء فإننا لو رددنا إلى المفرد لوجدنا المفرد هكذا (ذرى) فردها (ذروة) إذن هي واو، وكذلك (ربى) مفردا (ربية) فهي منقلبة عن ياء.

وكذلك إذا جئنا بالمصدر في (عفا-رمى) فالمصدر في (عفا = عفو) فهي منقلبة عن واو، وكذلك (رمى = رمي) فهي منقلبة عن ياء.

وكذلك نأتي باسم المرة فـ(عدا-سعى) يمكن أن نعرف الألف أمقلبة عن واو أو عن ياء بالإتيان باسم المرة، ففي (عدا = عدوة) و(سعى = سعية) الأولى منقلبة عن واو والثانية منقلبة عن ياء.

أو نأتي باسم الهيئة مثل: (غزا-رعى) ونقول: (غزوة) ونقول: (رعية) فالأولى منقلبة عن واو والثانية منقلبة عن ياء.

فهذه الأمور يمكن أن نعرف بها في الاسم أمقلبة ألفه عن واو أم منقلبة عن ياء.

أما في الفعل:

فبالفعل المضارع ففي مثل: (عرا-قضى) إذا جئنا بالمضارع وجدنا (عرا) مضارعها (يعرو)، وكذلك (قضى = يقضى) فالأولى منقلبة عن واو، والثانية عن ياء، فنأتي بالفعل المضارع إذا أردنا الألف في الفعل أمقلبة عن واو أو منقلبة عن ياء.

وكذلك بالإسناد لتاء الفاعل أو لضمير الفعل المتحرك، فإذا جاءك مثل: (سما-جری) فإنك لو أسندت لضمير الرّفع المتحرّك، تقول: (سموت) إذن فهي منقلبة عن واو، وأما (جری) تقول: (جريت) فهي منقلبة عن ياء.

وكذلك بالإسناد إلى ألف الاثنين، في مثل: (دعا-هني) تقول: (دعوا) فهي منقلبة عن واو و(هيا) فهي منقلبة عن ياء.

وكذلك بالإسناد إلى نون النسوة مثل: (غزا-جری) تقول: (غزّون) منقلبة عن واو، وتقول: (جرّين) فهي منقلبة عن ياء.

أن تكون الألف مسبوقة بالياء مثل: (دنيا-سجایا) ويستثنى من ذلك الأعلام فتكتب على ياء. اتفق الكوفيون على أن ما جاء على زنة (فعل) بضم الياء وفتح العين أو (فعل) بكسر الفاء وفتح العين يكتب بالياء سواء كان واويا أو يائيا، مثل: (الغلا-الربا) وتكتب عند الكوفيين على ياء (العلی-الربی) فإذا رأيتها من أحد من المتمكنين فلا تخطئه فلعله يذهب مذهب الكوفيين، فقد يقع أحيانا في مثل هذا الخطأ ويحمل على وجهه، لذلك قالوا قديما: عجت لنحو يخطئ؛ لأن الأصل أن النحوي يجد لنفسه مخرجا، حتى فيما شذ مما ذهب إليه النحاة، فالأمر يسير.

وأنت تكتب (يحيى) بالياء وكذلك (ري-ثري)، أما المضارع (يحيا) فتكتب ألفه ممدودة، وأما في الاسم فهأنا تكتب (يحيى) ولكن تكتب بالمضارع من حيي تكتب الألف ممدودة (يحيا).

ويستدل على أن أصل الألف الثلاثي ياءً ببدء الكلمة بواو مثل: (وقى-الورى)، وبيد الكلمة بهمزة تقول: (أبى-أذى) وتوسط الواو في الكلمة مثل: (طوى-الهوى) وتوسط الهمزة في الكلمة (رأى) ويستثنى من ذلك ستة أفعال؛ إذ أصل ألفها الواو والياء ولكن كتبت الياء كراهية اجتماع المثليين وهي: (بأى) أي فخر (دأى) أي ختل، (سأى) أي جرى، (شأى) أي سبق، (فأى) أي ضرب، (مأى) أي بالغ، أصل ألفها الواو والياء وكتبت بالياء كراهية اجتماع المثليين.

لا عليك إذا نسيت هذا لا حرج فهي من الغريب التي لا يستعمل إلا نادرا إلا ما كان من (شأى) بمعنى سبق، فيقال: (شأى أقرانه أجمعين) أي سبق أقرانه أجمعين.

لا بأس أن نعرف هذه المعلومة وهي أنه اختلف في أصل ألف (فتى) فذهب سيبويه إلى أن أصلها الياء بدليل المثني (فتيان) أما قولهم: (فتوان) فشاذ ودليله المثني، وذهب غيره أن أصلها الواو

بدليل المصدر فتقول: (الفتوة)، ورد عليهم بأن أصل الواو في (الفتوة) ياء فانقلبت الياء واوا كانقلابها في (موق) وهذه مسائل صرفية لا مجال لعرضها هنا.

بهذه الأمور تعرف الفعل هل ألفه منقلبة عن واو أم منقلبة ألفه عن ياء، وهذا يسير على من يسره الله عليه، نسأل الله التيسير والإعانة.

هذا ما يتعلق بالألف اللينة، وهو لأنه يُسمع لأول مرة يكون عسيرا لأن الذاكرة قد لا تمسكه إلا كما تمسك الماء الغرايل، أو يكون الشأن معه كالمقابس على الماء خائنه فزوج الأصابع لا بأس، ولكن نحن نفتق في هذا فتقا، نأتي بهذا الهجوم على هذا العلم في سويدائه ليذل إن شاء الله، وما هو في المنتهى إلا أن يعرف الإنسان القواعد وأن يجمعها، ثم يمضي على القواعد الجامعة ويجهد في ملاحظة الاستثناءات التي تعرض، فهو بعد لا يخطئ بفضل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ لأنه من العيب الكبير أن يكتب العربي أو المسلم الذي تعرب لساناً وقد أسلم فصار مسلماً لله حقاً وصدقاً، ثم أخذ بتعلم لغة العرب نطقاً وكتابة، هذا من الأمور التي تستهجن ليكون الإنسان لحانة فيكثر لحنه بلسانه أو أن يكون خطاءً في كتابته ببنانه، فهذا أمر مستهجن لا يكون من المسلم الذي يجتهد في معرفة دينه وينتمي إلى هذه الأمة المرحومة أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-.

معلوم أن القسّ الفارو -وكان مطراناً لقرطبة قديماً- له رسالة وقد كتبناها ونقلناها في فضل العربية، كان يشكو في تلك الرسالة إلى بعض أصدقائه مما صار إليه الشباب التصراني في قرطبة في ذلك الزمان وكيف أنهم تركوا لغة الكتاب المدنس وأقبلوا على اللغة العربية فصاروا يكتبون بها شعراً ونثراً ويتخاطبون بها وملكت عليهم أفئدتهم، فكان يشكو من هذا، وحُق له أن يشكو منه، فإن لغة الإنسان من الأهمية بما كان، والمسلمون ينبغي عليهم أن يحرصوا على لغتهم وأن يجتهدوا في لغتهم وفي معرفتها وفي التحقق منها لأنه لا يفهم كتاب الله ولا يفهم دين الله ولا تفهم سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلا إذا عرفت اللغة التي نزل بها القرآن والتي تكلم بها الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولم يكن هذا الأمر خبط عشواء حاشى لله، فقد أنزل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- القرآن العظيم -وهو المعجزة الباقية إلى آخر الدهر- أنزل الله رب العالمين القرآن العظيم وأرسل النبي الكريم باللغة العربية، هذا أمر مقصود وهي أوسع اللغات وهي أبقي اللغات وهي أسهل اللغات أيضاً، وأما التعقيد قد عشتش في أذهان كثير من أبناء المسلمين وأبناء العرب من جهة صعوبة هذه اللغة الشريفة المباركة، فهذا التعقيد له أسباب تقوم وأسباب لا تقوم.

أما الأسباب التي لا تقوم فهو ما يدندن حوله الأعداء صباح مساء من ألها لغة عسيرة ولغة صعبة، وهذا من فعل أعداء الدين، كما فعل وكما فعل (دانلب) وكما فعل غيره من الذين دعوا إلى أن نكتب باللغة التي نفكر بها، فيقولون: نحن نتكلم بلغة ونفكر بلغة ونكتب بلغة، يريدون العودة إلى اللهجات، وهذا خطأ كبير، وقد كتبوا ذلك قديما كما فعل (وليم ولكوكس) وغيره، كتبوا ذلك في مجلة الأزهر، ورد عليهم في حينه بفضل الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وكتاب الدكتور نفوسة زكريا سعيد عن العامية من الكتب الطيبة في هذا المجال، وكذلك ما كتبه الشيخ أحمد شاكر في بحثه (اللغة والشرع)، فأمثال هذه الأمور مما ينبغي علينا أن نعرفه، وكذلك ما كتبه الشيخ محمود شاكر رحمه الله في كتاب (أباطيل وأسمار)، وكذلك في كتابه (رسالة في طريق إلى ثقافتها)، فهذا أمر مهم؛ بل هو مهم جدا جدا جدا إلى انقطاع النفس؛ بل ينبغي علينا أن نصبر على هذه الأشياء وأن نتعلم.

